﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾ [الحجّ: 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المقصودُ مِنْ نَحْرِ البُدْنِ روحُـهُ لا صورتُهُ

لمّا بيَّنَ تعالى أنَّ البُدْنَ المُشْعَرةَ والمُقلَّدةَ مِنْ شعائرِ الدّينِ، وأمرَ بذِكْرِ اسمِهِ عندَ نَحْرِها صوافَّ، وبالأكلِ منها وإطعامِها، وكانَ مِنْ عاداتِ المشركين أنَّهم يَنْضَحونَ البيتَ ونحوَهُ بدماءِ قرابينِهم، ويُشرِّحونَ اللَّحْمَ، ويضعونَهُ حولَهُ زاعمينَ أنَّ ذلكَ قُرْبةٌ، وكانَ بعضُ ذلكَ شرعًا قديمًا؛ نبَّهَ سبحانَهُ على نسخِ ذلكَ بأنَّ المقصودَ منهُ روحُهُ لا صورتُهُ، والمُعتبَرَ ما يصحبُ ذلكَ مِنَ التَّقوى الَّتي تدعو إلى تعظيمِ اللهِ تعالى، والتَّقرُّبِ إليهِ والإخلاصِ لهُ، فقالَ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾[1]، ثُمَّ إنَّه تعالى لمّا حثَّ على التَّقرُّبِ بالبُدن؛ بيَّنَ السَّببَ، فقالَ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنَالَ﴾: للجذر (نول) معنًى محوريٌّ يدلُّ على إعطاءٍ[3]، فالنَّوْلُ والنَّوالُ: العطاءُ[4]والمعروفُ تصيبُهُ مِنْ إنسانٍ[5]، والنَّيْلُ: ما ينالُهُ الإنسانُ بيدِهِ، يُقالُ: نِلْتُهُ أنالُهُ نَيْلًا، قالَ تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: 92]، ومعنى: ﴿لَن يَنَالَ﴾: لن يُصيبَ، ويَبلُغَ، ويُدرِكَ[6].

(1) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 52.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 115.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نول).
(4) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (نول).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (نول).
(6) الرَّاغب، المُفردات: (نول)، والبقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 5/ 155.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

روحُ المَناسكِ تقوى اللهِ ومَقصودُها تعظيمُ الله وللمُحسِنينَ البِشارةُ

يقولُ تعالى ذِكْرُهُ مُخاطِبًا المُؤمنينَ: لن يَصِلَ إلى اللهِ لُحومُ بُدْنِكم ولا دِماؤُها، ولكنْ يَنالُهُ اتِّقاؤُكم إيّاهُ إنِ اتَّقيتُموهُ فيها، فأردتُّم بها وجهَهُ، وعَمِلْتُم فيها بما ندبَكم إليهِ، وأمرَكم بهِ، وعظَّمتُم بها حُرُماتِهِ، هكذا سخَّرَ لكُم البُدْنَ؛ كي تُعظِّموا اللهَ على ما هداكُم، وتَشْكُروهُ على توفيقِهِ إيّاكم للانتفاعِ بها، ثمَّ يأمرُ ﷺ نبيَّهُ محمَّدًا ﷺ بتبشيرِ المُحسِنينَ، فيقولُ: وبشِّرْ - يا محمّد ﷺ - الَّذينَ أطاعوا اللهَ، فأحسَنوا في طاعتِهم إيّاهُ بكلِّ ما فيهِ خيرٌ، ورأسُ ذلكَ الجنَّةُ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

إعرابُ جملةِ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾:

الجملةُ للتَّعليل والتَّوكيد

جملةُ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ في موضعِ التَّعليلِ لجملةِ ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أيْ: (دلَّ على أنّا سخَّرْناها لكم لِتَشْكُروا) على أنَّهُ لا انتفاعَ للهِ بشيءٍ مِنْ لُحومِها ولا دِمائِها حينَ تتمكَّنون أنتم مِنَ الانتفاعِ بها، فلا يريدُ اللهُ منكُم على ذلكَ إلّا أنْ تتَّقوهُ[1]، فهو تعليلٌ في المعنى لما قبله، ويجوز أن يكون بين الآية وفاصلة ما قبلها كمالُ اتِّصال مِن نوع التَّوكيد المعنويِّ، فإنَّ الثّاني منهما بعضُ لوازم الأوَّل، وإنَّ الأوَّل لازمٌ للثّاني؛ فلهذا غاب العاطفُ بينهما.

نكتةُ النَّفي بـ﴿لَن﴾ دونَ (لا):

النَّفيُ في الحالِ وفي الاستقبالِ

اختيرَ في قولِ الحقِّ جلَّ وتباركَ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ النَّفيُ بـ﴿لَن﴾ دونَ (لا)؛ لأنَّ ﴿لَن﴾ تُفيدُ النَّفيَ في الحالِ وفي الاستقبالِ أيضًا، فيكونُ النَّفيُ بها أوكدَ وأبلغَ[2]، فهو أدلُّ على المعنى المقصود مِن النفي بـ(لا).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 267.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4988.

نكتةُ التَّعبير بالمضارعِ ﴿يَنَالَ﴾:

استمرارُ انتفاءِ النَّيلِ وتجدُّده بتجدُّد النَّحر

عُبِّرَ بالمضارعِ المنفيِّ في قولِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾؛ لأنَّ المضارعَ يُفيدُ التَّجدُّدَ والاستمرارَ، ودخولُ النَّفي عليهِ يُفيدُ استمرارَ انتفاءِ النَّيْلِ وتجدُّدَهُ، وفي ذلكَ مزيدُ تأكيدٍ لكونِ فائدةِ النَّحْرِ تعودُ على العبدِ لا على المعبودِ سبحانَهُ وتعالى، والتَّجدُّدُ في: ﴿يَنَالَ﴾ ناظرٌ كذلك إلى تجدُّد النَّحر النّاتج عنه اللُّحوم والدِّماء، فهذا مؤسَّس على ذاك.

لطيفةٌ في اختلاف قراءاتِ ﴿يَنَالَ﴾ و﴿يَنَالُهُ﴾:

اختلافُ التَّذكيرِ والتَّأنيثِ تُجوِّزُه اللُّغة وقد يحمِل لطائفَ خفيَّة

اختُلِفَ في قراءةِ ﴿يَنَالَ﴾، و﴿يَنَالُهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾، فقرأ يعقوب بالتّاءِ على التَّأنيثِ فيهما: ﴿لَن تَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن تَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾، وقرأهما الباقونَ بالياءِ على التَّذكيرِ[1]، فمَنْ قرأ بياءِ الغَيبةِ في الفعلَيْنِ فلأنَّ التَّأنيثَ مجازيٌّ، وقد وُجِدَ الفصلُ بينَهما، ومَنْ قرأ بالتّاءِ فيهما؛ فاعتبارًا باللَّفظِ[2].

وقراءةُ التَّأنيثِ تُشير إلى أدنى مراتب النَّيل، ووراءَ ذلك في الفعل الأوَّل الإبلاغُ في بيان المعنى المُتعلِّق بالذّات العليَّة، وهذا تقريرٌ وتحقيقٌ للأُلوهيَّة، ووراءه في الفعل الثّاني عظيم تقرُّبِه تعالى لعباده وإقباله عليهم وتودُّدِه إليهم، وقراءةُ التَّذكير تُشير إلى أعلى مراتب النَّيلِ، ووراء ذلك مِن المعنى في الفعل الأول نفيُ توهُّم أنَّ للكثرة مجالًا لنيله تعالى لحومُها أو دماؤُها؛ فمَهْما عظُمتْ وكثُرتْ؛ فلن ينالَ اللّهَ لحومُها ولا دماؤُها؛ وهذا خطابٌ لبعضِ ذوي العقول الضعيفة، ووراءه مِن المعنى في الفعل الثاني عظيمُ التَّرغيب في تحصيل التَّقوى والتَّرقّي في مقاماتها.

(1) ابن الجَزَريّ، النّشر: 2/ 326.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 227، والسَّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 281.

غرضُ التقديمِ في: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾:

المسارعةُ بنفي توهُّمِ لَحاقِ نَفْعٍ أو ضَرٍّ

لمّا كانَ السّياقُ للحثِّ على التَّقرُّبِ بالنَّحرِ لهُ سبحانَهُ وتعالى؛ كانَ تقديمُ اسمِهِ المُتضمِّنِ كمالَ الجلالِ والجمالِ على الفاعلِ - في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ - أنسبَ للإسراعِ بنفيِ ما قد يُتوهَّمُ مِنْ لَحاقِ نَفْعٍ أو ضَرٍّ، فهو الاسمُ العظيم الجامعُ لسائرِ معاني العُلو والتَّسبيحِ، فأنّى يَنالُه لحومُ البُدنِ ودماؤها؟[1].

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لنفيِ لحاقِ نَفْعٍ أو ضَرٍّ

لمّا كانَ السّياقُ لبيانِ أنَّ نَفْعَ نَحرِ البُدْنِ راجعٌ إلى العبدِ لا إلى المعبودِ؛ فقد قالَ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ مُعبِّرًا بلفظِ الجلالةِ الَّذي حُمي عنِ الشِّركةِ بكلِّ اعتبارٍ، أيْ: لن ينالَ لُحومُها ولا دِماؤُها رِضا المَلِكِ الَّذي لهُ صفاتُ الكمالِ والجلالِ، فلا يَلْحَقُهُ نَفْعٌ ولا ضَرٌّ[2].

نكتةُ جمعَيِ الكثرةِ اللُّحومِ والدِّماءِ:

باعتبارِ تعدُّدِ البُدْنِ المنحورةِ وتنوُّعِها

عُبِّرَ بصيغةِ جمعِ الكثرةِ في قولِ الحقِّ جلَّ وتباركَ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾؛ للدَّلالةِ على التَّعدُّدِ والتَّنوُّعِ باعتبارِ تعدُّدِ البُدْنِ المنحورةِ وتنوُّعِها، فلكلِّ بَدَنةٍ لَحْمٌ ودَمٌ.

نكتةُ ذِكْرِ حرفِ النَّفيِ (لا):

لم يتشدَّدِ القرآنُ في تقريرِ معنًى كتقريرِ الألوهيَّةِ

جيءَ بحرفِ النَّفْيِ (لا) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ لتوكيدِ النَّفْيِ المُستفادِ مِنْ ﴿لَن﴾، ولذلكَ لم يُقَلْ: (لن ينالَ اللهَ لُحومُها ودِماؤُها)، ولم يتشدَّدِ القرآنُ في تقريرِ معنًى كتقريرِ الألوهيَّةِ.

سرُّ ذِكْرِ الدِّماءِ معَ اللُّحومِ:

في ذِكْرِ الدِّماءِ مع اللُّحومِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا

(1) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 52.
(2) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 52.

﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ الدّالّ على أنَّهُ سبحانَهُ لا يرضَى بلَحْم يُؤكَلُ، ولا تكونُ مَرْضاتُهُ في دم يُراقُ، وإنَّما يبلغُ مرضاته وقبولَهُ التَّقوى؛ إشارة إلى أنَّ الدَّمَ المُهْراقَ مطلوبٌ في الحجِّ؛ تذكيرًا بفِداءِ إسماعيلَ عليه السلام[1].

الإشارةُ إلى أنَّ إراقةَ الدِّماءِ مطلوبةٌ في الحجِّ

معنى الحرفَيْنِ ﴿وَلَٰكِن﴾:

الواوُ في قولِ الحقِّ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾؛ لعطفِ الجملةِ على ما قبلَها، و(لَكِنْ): حرفُ استدراكٍ مهْمَلٌ؛ لأنَّهُ مُخفَّفٌ، ولو قيل: (لكن يناله التَّقوى منكم) على غياب الواو؛ لكان صوابًا من ناحية البلاغة؛ لأنَّ المعطوفَ عليه بعضُ لوازمه، وهو بعض لوازم المعطوف عليه، فبينهما كمالُ اتِّصال من نوع التَّوكيد المعنويِّ الخفيِّ؛ فكان الظّاهر غيابَ الواو، ولكنَّ القرآنَ أحضرها احتفالًا بمضمون ما بعدها بالإشعار باستقلالِهِ، لِما في الواو مِن معنى المغايرة الَّذي لا يبرحُها؛ فالتَّقوى رأسُ الأمر كلِّهِ.

الـواوُ عاطفةٌ و(لَـكِـنْ) حرفُ استدراكٍ مُهْمَلٌ

بلاغةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿يَنَالُهُ﴾:

في التَّعبيرِ بـ ﴿يَنَالُهُ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ مُشاكلةٌ ومُناسبةٌ لـ ﴿يَنَالَ﴾ في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾، وفيهِ أيضًا استعارةٌ؛ حيثُ استُعيرَ النَّيْلُ لتعلُّقِ القبول، وشُبِّهَ قبولُ اللّهِ تقواهم وصعوده إليه بوصولِ الشَّيءِ المبعوثِ إلى اللّهِ، وقد حسَّنَتْهُ المشاكلةُ[2].

استعارةٌ بديعةٌ حسَّنَتْها المُشاكَلة

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَنَالُهُ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ النَّيْلِ واستمرارِهِ، فاللّهُ جلَّ وتبارك بمَنِّهِ وكرمِهِ يقبلُ التَّقوى مِنْ عبادِهِ، ويُثيبُهم عليها على الدَّوامِ، والتَّجدُّدُ

ينالُ اللهَ أصلُ التَّقوى والزِّيادة فيها

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4988.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 431، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 269.

في ﴿يَنَالَ﴾ ناظرٌ إلى التَّفاوت في مقامات التَّقوى، والمعنى: (ولكن ينالُه أصلُ التَّقوى والزّيادة فيها).

معنى حرفِ (مِنْ) ودلالتُهُ:

(مِنْ) في قولِه سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ ابتدائيَّةٌ، وهي ترشيحٌ للاستعارةِ في ﴿يَنَالُهُ﴾؛ ولذلكَ عُبِّرَ بلفظِ ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ دونَ (تقواكم)، أو (التَّقوى) مُجرَّدًا، معَ كونِ المعدولِ عنهُ أوجزَ؛ لأنَّ في هذا الإطنابِ زيادةَ معنًى من البلاغة[1].

(مِـنْ) ابتدائيَّةٌ وهـي ترشيحٌ للاستعارةِ

نكتةُ تكرارِ التَّسخيرِ في الآية:

كُرِّرَ التَّذكيرُ بنعمةِ تسخيرِ البُدْنِ في قولِ الحقِّ جلَّ من قائلٍ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ﴾ بعدَ قولِه قبلَ ذلكَ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾، وطُلِبَ الشُّكرُ هناكَ بقولِه تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، وطُلِبَ هنا أيضًا بقولِه: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۚ﴾، أيْ: لِتَشْكُروا اللّهَ على هدايتِه إيّاكم لأعلامِ دينِه ومناسكِ حجِّه، بأنْ تُكبِّروا، وتُهلِّلوا، فاختُصِرَ الكلامُ بتضمينِ التَّكبيرِ معنى الشُّكرِ، وتعديته[2]، وفي ذلكَ إيذانٌ بأنَّ المقصودَ الأوَّليَّ مِنْ شرعيَّةِ الأحكام: التَّوحيدُ وذِكْرُ اللّهِ تعالى وحدَهُ، وأنَّ رأسَ الشُّكرِ هو الذِّكرُ باللِّسانِ[3]، وفي هذا التَّكريرِ زيادةُ مبالغةٍ في الامتنانِ على المُخاطَبينَ، وهذا كلُّه ناظرٌ إلى كلمة الإحسان والإنعام المُضافة إلى ضمير النّاس، والواقعة مفعولًا به للأمر بالتَّقوى في مطلع السّورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ [الحج: 1].

تكرارُ التَّنبيهِ على عظيمِ تسخيرِ البُدْنِ

إعرابُ كاف التَّشبيهِ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

الكافُ في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، أو حالٌ مِنْ ذلكَ المصدرِ المحذوفِ[4].

الـكـافُ نـعـتُ مصدرٍ محذوفٍ أو حالٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 270.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 159.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 491، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 270.
(4) السّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 280.

دلالةُ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ (ذَلِكَ):

تعظيمُ شأنِ التَّسخيرِ المُشارِ إليهِ وتفخيمُهُ

التَّعبيرُ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قولِ اللهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ التَّسخيرِ المُشارِ إليهِ وتفخيمِهِ، أيْ: مِثلَ ذلكَ التَّسخيرِ العظيمِ العجيبِ الشَّأنِ سخَّرَها اللهُ سبحانَهُ وتعالى الجامعُ لصفاتِ الكمالِ والجلالِ، القادرُ على كلِّ شيءٍ[1].

سرُّ الاختلافِ في إسنادِ فعلِ التَّسخيرِ:

نوعُ الضَّميرِ موافِقٌ للسّياقِ ولمُقتضى الحالِ

أُسنِدَ فعلُ التَّسخيرِ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ لضميرِ الغَيبةِ؛ موافَقةً لسياقِ الغَيبةِ في الآيةِ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾، وأُسنِدَ لضميرِ العظَمةِ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ قَبْلَ ذلكَ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾؛ موافقةً لسياقِ العظَمةِ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، والتَّعبيرِ الأولُ في مطلعِ حالِ التَّعرُّفِ عليه تعالى، فاحتاجَ المُتلقّي إلى ظهورِ عظمتِه ظهورًا بيِّنًا، فأُضيفَ التَّسخيرِ إلى ما هو نصٌّ في العظمةِ، والتَّعبيرِ الثّاني كائنٌ بعدَ ذلك، فقد خطا المُتلقّي خُطوةً في التَّعرُّفِ عليه، فخوطِبَ بضميرِه.

غرضُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿سَخَّرَهَا﴾:

تأكيدُ تحقُّقِ تسخيرِ البُدْنِ ووقوعِهِ

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي في قولِ اللهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ على تأكيدِ تحقُّقِ تسخيرِ البُدْنِ ووقوعِهِ، ببيانِ أنَّهُ أمرٌ قدَّرَهُ اللهُ تعالى، وحكمَ بهِ في الأزلِ، وهو أمرٌ مُشاهَدٌ في الوجودِ، لا خلافَ فيهِ ولا نِزاعَ، والعادةُ والتَّجربةُ حاكمتانِ بهِ.

غرضُ ذكرِ ﴿لَكُمْ﴾:

تأكيدُ الامتنانِ على المخاطَبينَ بتسخيرِ البُدْنِ لهُم

ذُكِرَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لَكُمْ﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾؛ لتأكيدِ الامتنانِ على المخاطَبينَ بتسخيرِ البُدْنِ لهُم، ببيانِ أنَّ ذلكَ التَّسخيرَ العظيمَ لأجلِهم، وهو لهُم لا لغيرِهم.

(1) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 53.

معنى لامِ ﴿لِتُكَبِّرُواْ﴾:

توحيدُ اللهِ في عبادتِه وتكبيرِه مؤسَّسٌ على رُبوبيتِه وتسخيرِه للبُدْن

الظّاهر أنَّ اللّامَ في قولِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾؛ لبيانِ علَّةِ تسخيرِ البُدْنِ[1]، والمعنى: (كذلكَ سخَّرَها لكم لتَعْرِفوا عظَمتَهُ باقتدارِهِ على ما لا يَقْدِرُ عليهِ غيرُهُ، فتوحِّدوهُ بالكِبْرياءِ)[2]، وقيلَ: اللّامُ للعاقبةِ، أيْ: سخَّرَها لتكونَ العاقبةُ أنْ تُكبِّروا اللّهَ في الحجِّ على هدايتِكم إليهِ سبحانَهُ وتعالى، ولِتُقيموا شعائرَهُ، ولِتُحسِنوا أداءَ التَّكاليفِ الَّتي كُلِّفْتُموها[3].

نكتةُ اختيارِ عنوانِ الأُلوهيَّةِ:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لسياقِ التَّكبيرِ

لمّا ذُكِرَ التَّكبيرُ قُرِنَ بالاسمِ الأعظمِ، فقيلَ: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾[4]؛ لأنَّ العادةَ قد جرَتْ باقترانِ التَّكبيرِ بلفظِ الجلالةِ في الكثيرِ من العباداتِ، فيُقالُ: (اللّهُ أكبرُ)، وفي ذِكْرِ التَّكبيرِ هنا لطيفةٌ، وهي أنَّ تسخيرَ البُدْنِ أمرٌ يُعرَفُ بهِ أنَّ المُسخِّرَ مَلِكٌ عظيمُ الشَّأنِ قادرٌ على ما لا يَقْدِرُ عليهِ غيرُهُ، مُتوحِّدٌ في القادريَّةِ، وهذا العِرْفانُ يُلجِئُهم إلى الاعترافِ بأنَّهُ واحدٌ بكِبْريائِهِ، وأكبرُ مِنْ كلِّ مَنْ عداهُ[5].

معنى حرفِ الجرِّ في: ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾:

دلالةُ الحرفِ على التَّمكُّنِ وعلى تضمينِ فعلِ التَّكبيرِ معنى الشُّكرِ

الظّاهر أنَّ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾؛ للاستعلاءِ المجازيِّ الَّذي هو بمعنى التَّمكُّنِ، أيْ: لِتُكبِّروا اللّهَ عندَ تمكُّنِكم مِنْ نَحْرِها[6]، وهو مُتعلِّقٌ بـ ﴿لِتُكَبِّرُواْ﴾؛ لتضمُّنِهِ معنى الشُّكرِ؛ لأنَّهُ يتعدَّى بـ ﴿عَلَىٰ﴾، بخلافِ التَّكبيرِ[7]، ولولا اعتبارُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 227.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 72.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4989.
(4) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 53.
(5) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 13/ 70.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 270.
(7) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 159، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 72.

معنى التَّضمين؛ لكانَ الأنسبُ أنْ تُذكَرَ اللّامُ بدلَ ﴿عَلَىٰ﴾، ويقال: لِما هداكُم[1]، وقيلَ: ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى اللّامِ التَّعليليَّةِ[2]، أيْ: لِتُكبِّروا اللّهَ لأجلِ ما هداكُم.

نوعُ ﴿مَا﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿مَا هَدَىٰكُمْ﴾:

تحتملُ ﴿مَا﴾ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أنْ تكونَ مصدريَّةً، أيْ: على هدايتِهِ إيّاكم[3]، وتحتملُ أنْ تكونَ موصولةً، أيْ: على الَّذي هداكُم إليهِ من الأنعامِ[4]، وعلى الثّاني ففي إبهامِ ﴿مَا﴾ ومدِّ ألِفِها امتنانٌ بكثرةِ ما يصدُق عليه اللَّفظ ﴿مَا﴾ وفخامته وعظمته.

(مـا) تحتمل المـصـدريَّـةَ كـمـا تحتمل الموصوليَّةَ

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿هَدَىٰكُمْ﴾:

الهدايةُ في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ بمعناها اللُّغويِّ[5]، أيْ: على ما أرشدَكم إليهِ من طريقِ تسخيرِ البُدْنِ وكيفيَّةِ التَّقرُّبِ بها[6]، ومِنْ وُجوهِ هذهِ الهدايةِ أيضًا: تشريعُ الهدايا في تلكَ المواقيتِ؛ لينتفعَ بها النّاسُ، ويرتزقَ سُكّانُ الحَرَمِ الَّذينَ اصطفاهُمُ اللّهُ؛ ليكونوا دعاةَ التَّوحيدِ، لا يُفارقونَ ذلكَ المكانَ[7].

مـنـاسـبـةُ لـفـظِ الـهـدايـةِ لسياقِ الامتنانِ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿هَدَىٰكُمْ﴾:

لمّا كانَ السّياقُ لحثِّ النّاسِ على شكرِ اللّهِ سبحانَهُ وتعالى على تسخيرِ البُدْنِ لهُم، وعلى ما أرشدَهم إليهِ مِنْ وجوهِ الانتفاعِ بنَحْرِها؛ ناسبَ الإتيانُ بفعلِ الهدايةِ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ ماضيًا؛ لدلالةِ صيغةِ الماضي على أنَّ الهدايةَ

مناسبةُ الماضي لسياقِ الحثِّ على الشُّكرِ

(1) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 13/ 71.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 298، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 151.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 108.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 108، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 270.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 70.
(6) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 72.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 270.

أمرٌ قد تحقَّقَ، وثبتَ، وحكمَ بهِ اللهُ جلَّ شأنُهُ في الأزلِ، وحقَّقَهُ في الوجودِ، فما على المخاطَبينَ المُسلِمينَ إلّا المبادرةُ إلى التَّكبيرِ والشُّكرِ للمُنعِمِ الوهّابِ عزَّ سُلطانُهُ.

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾:

الواوُ للاستئناف أو للعطفِ على جملةٍ محذوفةٍ

الواو لاستئناف الوعد والبشارة لِمَنْ يُحسِن العملَ فيما ذُكِرَ من مناسك الحجِّ وفي عموم عبادة الله، أو هو للعطف؛ فلمّا كانَ الدّينُ لا يقومُ إلّا بالنِّذارةِ والبِشارةِ، وكانَ السّياق لأجلِ ما تقدَّمَ مِنْ شعائرِ الحجِّ ومَعالِمِهِ بالبِشارةِ أليقَ؛ ذكرَها سبحانَهُ وتعالى مُشيرًا إلى النِّذارةِ بواوِ العطفِ، ليُؤذِنَ أنَّ التَّقديرَ: (فأنذِرْ - أيُّها النَّبيُّ ﷺ - المُسيئينَ)، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وبناءً على ذلكَ يكونُ في الكلامِ إيجازٌ بحذفِ جملةٍ، وهذه الجملةُ تنظر إلى جملة ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾، وهذا مقامٌ فوق مقامِ الإخبات، فمقامُ الإخباتِ جاء بعد الأمرِ بالإسلام له تعالى، ومقامُ الإحسان جاء بعدَ التَّرغيبِ في التَّقوى الَّتي تكون للعبد بعد الإسلام له تعالى، فهذا من التَّماسك والتَّرابط بين الآيات.

غرضُ الأمرِ بالتَّبشير في الآية:

وجوبُ تبشيرِ المُحسِنينَ وفي ذلكَ وعدٌ للمُبشَّرينَ المُمتثلينَ لأوامرِ اللهِ

الأمرُ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ للوجوبِ، وهو يدلُّ على وجوبِ تبشيرِ المُحسِنينَ على النَّبيِّ ﷺ، وفي ذلكَ وعدٌ للمُبشَّرينَ المُمتثلينَ لأوامرِ اللهِ سبحانَهُ، كما قالَ مِنْ قبلُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجمعِ المُعرَّفِ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

التَّعبيرُ بلفظِ الجمعِ المُعرَّفِ باللّامِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ

(1) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 54.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 227.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على عُمومِ اللَّفظِ لكلِّ مُحسنٍ[1]، وقيلَ: المُرادُ بهم الخُلَفاءُ الأربعةُ[2]. :

علَّةُ اختيارِ لفظِ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

اختيرَتْ صفةُ الإحسانِ في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ في ختامِ أفعالِ الحجِّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يُقَلْ: (وبشِّرِ المُؤمنينَ)، أو (وبشِّرِ الشّاكرينَ)، أو (وبشِّرِ المهتدينَ)؛ لأنَّ المُحسنينَ هم الَّذينَ يعبدونَ اللهَ تعالى، كأنَّهم يرونَهُ، ويبتغونَ بذلكَ فضلَهُ ورِضوانَهُ، لا يَحْمِلُهم على ما يأتونَهُ، ويَذَرونَهُ، إلّا هذا الابتغاءُ، وعلامةُ ذلكَ ألّا يستثقلَ، ولا يتبرَّمَ بشيءٍ ممّا فعلَهُ، أو تركَهُ، والمقصودُ منهُ الحثُّ والتَّحريضُ على استصحابِ معنى الإحسانِ في جميعِ أفعالِ الحجِّ ونحوِهِ[3]، يُضافُ إلى ذلكَ أنَّ صفةَ الإحسانِ تشملُ غيرَها؛ لأنَّ العبدَ لا يكونُ مُحسنًا يعبدُ اللهَ كأنَّهُ يراهُ؛ حتَّى يكونَ مُؤمنًا ومُهْتديًا وشاكرًا، ونحوَ ذلكَ مِنْ صفاتِ الكمالِ.

الحثُّ على استصحابِ معنى الإحسانِ في جميعِ أفعالِ العبدِ

نكتةُ إظهارِ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

الخطابُ في قولِهِ تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ﴾ للمُسلمينَ، وتغييرُ الأسلوبِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حيثُ لم يقلْ: (وبشِّرْهم)؛ تخريجٌ على خلافِ مُقتضَى الظّاهرِ، بالإظهارِ في مقامِ الإضمارِ؛ للإشارةِ إلى أنَّهم قد اهتَدَوا، وعَمِلوا بالاهتداءِ، فأحسَنوا[4].

خروجٌ عن أسلوبِ الإضمارِ إلى إظهارِ صفةِ المبشَّرين

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَبَشِّرِ

الدَّلالةُ على رُسوخِهم في الإحسانِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 510، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 538.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 510.
(3) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 116.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 270.

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على أنَّ الإحسانَ صفةٌ راسخةٌ في المذكورينَ في الآيةِ الَّذينَ اهتَدَوا، وعَمِلوا بالاهتداءِ؛ ولذلكَ لم يقلْ: (وبشِّرِ الَّذينَ أحسَنوا)؛ فضلًا عمّا في التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ مِنْ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لِما قبلَها مِنَ الفواصلِ.

نكتةُ حذفِ مُتعلِّقِ فعلِ التَّبشيرِ:

ذهـابُ النَّـفْسِ في تـصـوُّرِهِ كـلَّ مذهبٍ ممكنٍ

حُذِفَ مُتعلِّقُ فعلِ التَّبشيرِ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فلم يقلْ: (وبشِّرِ المُحسِنينَ بكذا)؛ لتذهبَ نَفْسُ السّامعِ في تصوُّرِ المُبشَّرِ بهِ كلَّ مذهَبٍ مُمكِنٍ، فلا تتصوَّرُ شيئًا من الخيراتِ والمَسَرّاتِ إلّا كانَ مُرادًا، ورأسُ ذلكَ الجنَّةُ، ولو ذُكِرَ شيءٌ في الكلامِ؛ لاختصَّ التَّبشيرُ بهِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»